المحور الثاني :

نظريات التبادل

ظهرت نظرية التبادل الاجتماعي كإحدى الاتجاهات النظرية التي تبلورت نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، كنظرية تعكس الواقع الامبريقي وتفسير السلوك الإنساني في مستويات مختلفة . فجاءت محاولتها الأولى في مجموعة الأفكار الأساسية تتمحور حول حقيقة أن الثابت في المجتمع هو التبادل الحاصل بين مكوناته،و أن اساس النظام الاجتماعي هو التبادل ، و في سبيل ذلك اعتمدت نظريات التبادل على العديد من المرتكزات فبعضها أعتمد على عوامل سيكولوجية بحتة ترتبط في بعض مضامينها بعوامل بيولوجية، و جاء بعضها الأخر ليقدم تفسيرا يربط فيه بين العوامل النفسية و البناء الاجتماعي والثقافة

1 - ماهية نظرية التبادل الاجتماعي

يعكس مصطلح نظرية التبادل الأسلوب الأساسي الذي يتبعه الناس انصياعا لمفترض الاختيار العقلاني لتحقيق معظم منافعهم من خلال تبادل المكافآت والمنافع بينهم .وهنا ندرك أن المنفعة الشخصية تحدد الظروف التي يتم من خلالها التبادل .وقد عرف ذلك آدم سميث منذ أكثر من مائتي عاما عندما أدخل مفترض الاختيار العقلاني في نظريته الاقتصادية حيث كان يقول :إذا حدث التبادل بين شخصين طواعية فلن يحدث التبادل إلا لو كان الشخصان سيحصلان على منفعة منه .وهنا تتدخل الأفضليات والمذاقات في السلوك الإنساني .ولاستمرار التبادل لابد أن يشعر الطرفان بعدالة التبادل.

والمفترض الثاني لنظرية التبادل يرتبط بالمخاطرة حيث ينص على" :في ظل الظروف الطوعية وعدم وجود الضوابط أو الروادع يسود الغش كسلوك محتمل بين الطرفين المتبادلين حيث أن الغشاشين يحققون المنفعة إذا كان الغش ممكنا ودون اكتشاف ."وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نغش جميعا طالما كان ذلك ممكنا؟ الإجابة على ذلك تكمن في الحروف الثقيلة الأولى من المفترض، وبالذات في كلمة الضوابط أو الروادع Restreints.وتتمثل هذه الروادع في ثلاثة عناصر رئيسية:

- أولا :**الارتباط أو الصلابة الاجتماعية** : عندما يفشل أحد الأطراف المندمجة في عملية تبادل في الحصول على مكافأة أو منفعة مناسبة مقابل عطائه للطرف الآخر فإنه سوف يشعر بالغضب .أي القطيعة وإذا حدث الرضا المتبادل بين الطرفين المتبادلين فإنهما باستمرار التبادل سوف يزيد حبهما لبعضهما البعض (وهذا ما يسمى بقانون هومانز للحب)، وسوف يزداد ارتباطهما ببعض Attachement وكلما زاد هذا الارتباط كلما زادت الصلابة الاجتماعية.

- ثانيا :**اللامساواة** Inégalité هناك حدود لقانون المحبة في نظرية التبادل، إذ أن الأنشطة المشتركة تزيد المحبة بشرط أن يكون الأطراف المشاركة متشابهة في المكانة الاجتماعية. فالسلطة أو القوة من جانب أحد الأطراف لا تجعل الأنشطة المشتركة مؤدية للمحبة أو الصداقة . فالمدير والموظف قد يشتركان في أعمال مشتركة ولكن التذكرة بأن أحدهما يأمر والآخر ينفذ لا تؤدي إلى الارتباط غير الرسمي .وكذلك فمدرب الكرة نادرا ما يكون صديقا للاعب معين مثل صداقة هذا اللاعب مع صديقة اللاعب الآخر .هذا هو ما يسميه هومانز قانون اللامساواة حيث يقول" :الارتباط العاطفي بين أعضاء جماعة ما سوف يكون أضعف بين الأعضاء المنتمين لرتب أو مكانات اجتماعية مختلفة عما هو الحال بين الأعضاء المنتمين لنفس الرتبة أو المكانة الاجتماعية.

- ثالثا :**الاتفاق والموافقة** Agreement et conformitéعندما يحب الناس ذوي المكانات الاجتماعية بعضهم البعض نرى هناك ظاهرة تسمى في نظرية التبادل قانون الاتفاق والذي ينص على أنه" كلما أحب أعضاء جماعة ما بعضهم البعض كلما كان الأكثر احتمالا أن يتفقوا مع بعضهم البعض ".وهكذا كلما كانت الجماعة متحابة مترابطة تسودها المشاعر غير الرسمية كلما زاد توافق الآراء بينهم، والعكس صحيح .الأصدقاء يعتقدون فيما يعتقد فيه أصدقاؤهم وخاصة بالنسبة للأمور المتعلقة بالجماعة .وكلما زادت درجة صلابة الجماعة كلما زاد الطلب على الاتفاق والموافقة .

2 - منطلقاتها النظرية :

لقد نبعت نظرية التبادل من مصادر معرفية متعددة في أهمها بعض أفكار وافتراضات مفكري الاقتصاد السياسي الكلاسيكي بما في ذلك مبدأ المنفعة، وخاصة ما تضمنته كتابات" آدم سميث" " و "ريكاردو" . كما يرجع فكر التبادلية إلى الانتربولوجيا أيضا والتي شملت دراساتها نماذج وأفكار عن عملية التبادل ووظائفها الاجتماعية، وارتباط عملية التبادل بالثقافة والحاجات الفردية و بعض النظريات النفسية المثلة في نظرية الحاجات.

2 – 1 فلسفة المنفعة :

مذهب المنفعة Utilitarianism نظرية أخلاقية غربية تربط بين صحة السلوك ونتائجه. طور هذه النظرية الفلاسفة البريطانيون جريمي بنتام، و جيمس مل، و جون ستووارت ميل، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .يعتقد مؤيدو هذا المذهب بأن الفعل يكون أخلاقيًا، إذا قاد إلى تحقيق نتائج أحسن .كما أراد مؤيدو مذهب المنفعة، أن يستبدلوا التعصب الشديد للمبادئ الاخلاقية، بمبادئ أكثر مرونة، تسمح للناس بإتباع أي سلوك يؤدي إلى أفضل النتائج.

2 – 2 انثربولوجيا التبادل :

و تتمثل أساسا في أعمال " مارسيل موس" Marcel Mauss حول "الهبة " حيث صرح "تتم التبادلات والتعاقدات داخل الحضارة الإسكندنافية وعدد هام من الحضارات على شكل هدايا، نظريا بطريقة اختيارية، ولكنها في حقيقة الأمر إلزامية" و هو بذلك حاول فهم آليات المعاملات الاقتصادية والتبادل داخل المجتمعات "البدائية "و"المتخلفة "وقد خلص" موس" إلى أن الهبة تمثل ترابطا لالتزامات ثلاثة : هي العطاء وقبول العطاء والرد عليه بإعادة الغرض نفسه أو ما يوازيه أو ما هو أثمن منه .وهذه الالتزامات المتحدة والمترابطة تدفع الهبات، أشياء كانت أم أشخاصا، إن عاجلا أو آجلا إلى العودة إلى نقطة بدايتها. كما يرى أن الأشياء الممنوحة ترتبط بالأشخاص المانحين، بل يمكن اعتبارها امتدادا لهم .وتنشأ نتيجة لذلك علاقة مزدوجة بين المانح والمتلقي: علاقة تكافل وتضامن لأن الأول يتقاسم ما يملكه مع الثاني، وعلاقة تفوق وتمايز لأن المتلقي يصبح مدينا للواهب حتى يمنح الأول من جانبه هبة في وقت لاحق. وقد تنشأ تراتبية بين الواهب والموهوب له حتى وإن كانت العلاقات متكافئة قبل ذلك. أما إذا كانت التراتبية قائمة، فيأتي الوهب كتعبير عنها وتكريس لها. وبصيغة أخرى تخلق الهبة في ذات الوقت تقاربا وتباعدا بين الواهب والموهوب له.

2 – 3 نظريات الحاجة :

الافتراض الأساسي لهذه النظرية .. أن الإنسان له مجموعة من الحاجات المتدرجة من حيث الأهمية ، يسعى دوما إلى إشباعها فالحاجة هي كل نقص يشعر به الإنسان في الشروط البيولوجية أو النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية، ويؤثر في توازنه ويكون مانعاً لإشباع حاجاته. ولإعادة التوازن تنشط الحاجة أو تفرز دافعاً ما، وعندئذ يحرك الدافع السلوك من أجل تحقيق الغاية التي تشبع الحاجة أو تعيد التوازن نتيجة إشباع هذه الحاجة، مما يؤدي إلى إزالة التوتر أو خفضه. كما تعتبر هذه النظرية أن الحاجات على اختلافها هي مفاتيح لفهم السلوك الإنساني وتوجيهه وضبطه والتحكم به، والتنبؤ بما سيكون عليه في المستقبل.

3 - القضايا الأساسية لنظرية التبادل الاجتماعي:

تتحدد القضايا الأساسية للنظرية في خمس قضايا هي على الترتيب التالي :

- **قضية النجاح** :اذا ما كوفئ شخص نتيجة لقيامه بنشاط معيّن، فإن ذلك الشخص يكون أكثر رغبة بعد ذلك لانجاز هذا النشاط والقيام به.
- **قضية الحافز أو المثير** :لو حدث مثير في الماضي، و أدى إلى خلق ظروف تشابه كبيرة بين ذلك المثير في الماضي والحاضر لكان من المحتمل قيام الشخص بنشاط مماثل لما قام به في الماضي وحصل منه على مكافئة.
- **قضية القيمة** :كلما انطوت نتيجة فعل شخص او نشاط على قيمة، كلما زاد احتمال قيامه بذلك النشاط الذي يعد في نظره ذا قيمة أكثر بالنسبة له.
- **قضية الإشباع والحرمان** :وهي تنقسم إلى شقين .الأول منها ويعني انه لا يتمكن الشخص من خلال أفعاله التي يقوم بها الحصول على تلك المكافأة التي كان يتوقعها، فإنه سوف يغضب، ومن ثمة يكون اكثر ميلاً نحو القيام بسلوك عدواني، وتصبح نتائج هذا السلوك بالنسبة له فيما بعد أكثر قيمة .ويتحدد الثاني في انه حينما يقوم الشخص بفعل معيّن يتوقع له مكافئة، ومن ثمة يحصل على مكافأة أكثر من التي كان يتوقعها، ولم يحصل على العقاب الذي كان يتوقعه، فإنه يصبح مسروراً، ويكون اكثر رغبة في القيام بإنجاز بسلوك مقبول، وتصبح نتائج هذا السلوك اكثر قيمة بالنسبة له، وبذلك فيما ينطوي الموقف على عدالة في توزيع المكافآت.

- **قضية التعدي** : اذا حصل الإنسان على شيئ ذو قيمة فإن اهتمامه بذلك الشيئ سوف تتناقص قيمته تدريجياً، وذلك بمجرّد حصوله على وحدات أخرى منه.

من خلال النظر إلى القضايا الأساسية، نجد النظرية تفترض أن الأهداف والحاجات الخاصة هي المحرك الأساسي للأفراد، ونظراً لما تحققه لهم من إشباع عاطفي يفوق بكثير التضحية بالذات، وهذا الإشباع لا يحدث من فراغ ولكن يتبادلونه من خلال عملية التفاعل.

وبذلك يمكن القول أن النظرية التبادلية انما ترجع أساساً في نظرتها على الواقع الاجتماعي إلى تلك المصادر الأساسية التي اشتقت منها مسلماتها الاجتماعية، والتي هي النظرية الاقتصادية والسيكولوجية بالأساس .وهي ترتبط أساساً بثلاثة من علماء الاجتماع وهما "جورج هومانز" وبيتر بلاو . و هنري أمرسون .

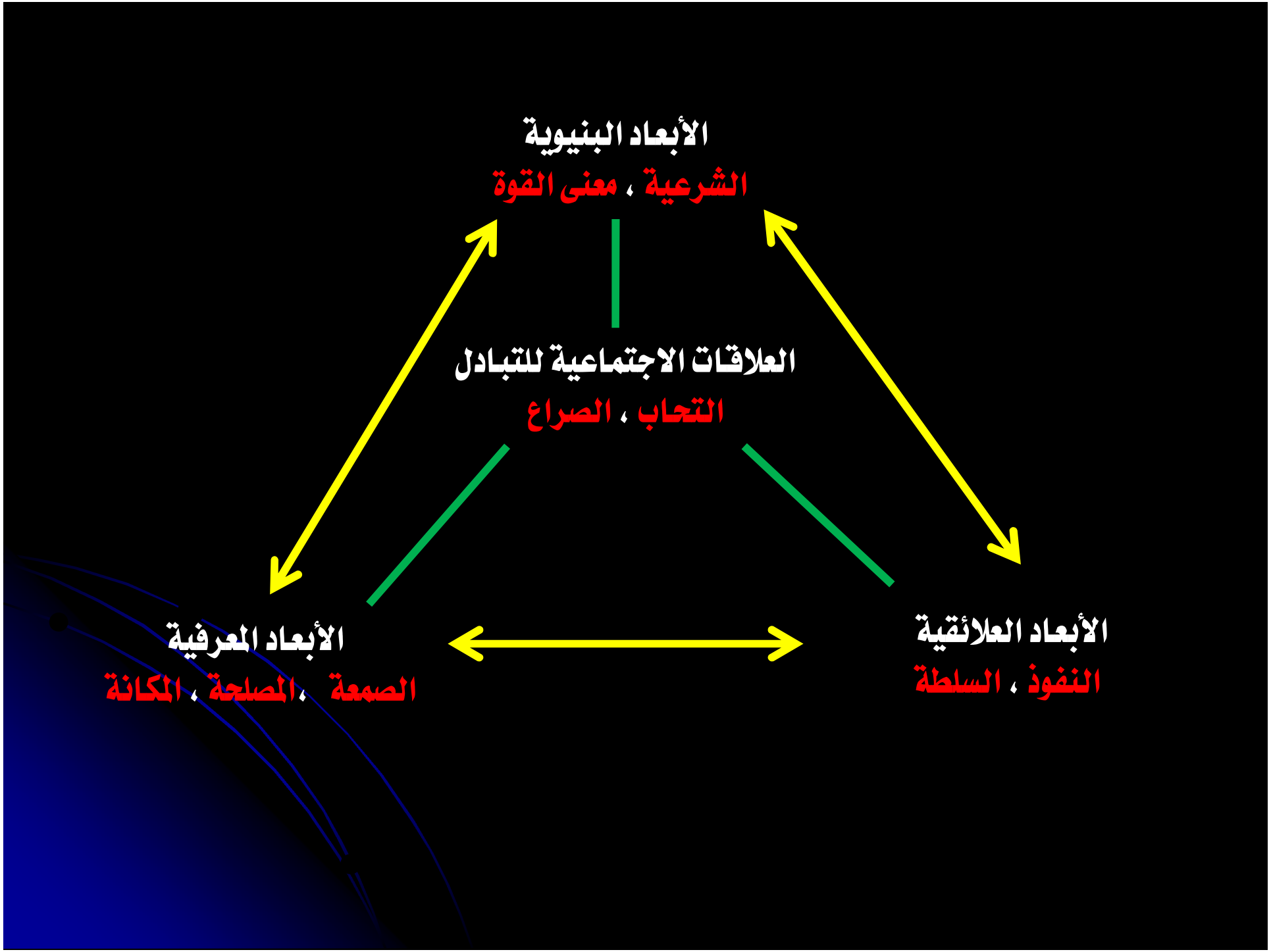
الأبعاد البنيوية
الشرعية ، معنى القوة
العلاقات الاجتماعية للتبادل
التحاب ، الصراع
الأبعاد المعرفية
الصمعة ، المصلحة ، المكانة
الأبعاد العلائقية
النفوذ ، السلطة

نظرية جورج هومانز (الاختيار العقلاني):

يعتبر جورج هومانز من بين ممثلي نظرية التبادل الاجتماعي، ويتضح ذلك من خلال اسهاماته العديدة في مجال بحوث الجماعات الصغيرة، ولقد تأثر "هومانز" بأعمال كل من" باريتو" Pareto و "هندرسون" Henderson وكذلك تأثره ببحوث "سكينر" Skiner في علم النفس التجريبي.

1 – مرتكزات نظرية هومانز :

- الفهم الشامل للسلوك الإنساني لا يكون ممكنا على المستوى السوسيولوجي ما لم يتصل ذلك التفسير بالمنظور السيكولوجي.
- لا يمكن أن يقدم مبدأ الانبثاق فهما موضوعيا لحقيقة الفعل الإنساني
- يمكننا فهم النظام الاجتماعي من خلال علاقات التكامل والتوازن التي تجمع الأفراد.
- السلوك الإنساني هو نتاج لنشاط تبادلي سواء كان مادي أو غير مادي ، مجدي أو مكلف
- القوة مكتسبة تتحقق عن طريق الخدمات و القيم النادرة التي يمكن تزويد الآخرين بها. و هذه القيمة هي التي تشكل أطر المعنى الخاص بالمكانة و الصمعة و السلطة

مفاهيم أساسية في نظرية هومانز :

- **التبادل المتكافئ :** يعني و يخص **عدالة** عملية التبادل .حيث يعرف العدالة **باستمرارية عملية التبادل** ويتضمن التبادل المتكافئ المستوى الفردي والجماعي ،و هو يرتكز على مجموعة من الافتراضات هي :
  - افتراض التوازن بين المكافأة التي يحصل عليها الفرد، مقابل ما يقدمه للجماعة، بمعنى آخر التوازن بين مسؤوليات الفرد وحقوقه.
  - توازن قيمة المكافأة مع ما تم استثماره
  - توازن المكافأة مع الكلفة
- **المكافأة** : يعني بها أن قاعدة التبادل قوامها أهداف وغايات اجتماعية **كالسمعة والاعتبار والاحترام والتقدير والنفوذ الاجتماعي**، وليس **المنفعة المادية الصرفة**، .فالفرد عند قيامه بعمليات تبادلية فإنه يهدف أساسا القبول الاجتماعي من قبل أعضاء جماعته واحترامهم له، الأمر الذي يزيد من اعتباره الاجتماعي ومكانته الاجتماعية، وبدوره يكشف عن تماثله الاجتماعي لقواعد جماعته .واعتبر" هومانز" هذا القبول والاحترام والتماثل مكافآت اجتماعية للفرد داخل جماعته.

- **التفاعل**: هو عملية تبادل من اجل كسب المنفعة بواسطة **المشاركة والعاطفة** .هذا وبناء على ما تقدم، قدّم هومانز أول افتراضاته حول عملية التبادل وهي :
  - يؤدي تكرار التفاعل بين الأفراد وتواصله، إلى زيادة المودة بين أطراف التفاعل
  - ترتبط زيادة المودّة بازدياد فرص التعبير عن هذا الشعور، من خلال النشاطات وعمليات التفاعل وزيادة أوجهها.
  - كلما علت مكانة الفرد، كلما زادت أوجه نشاطاته وفرص تفاعله، وزاد عدد الذين يمكن أن يتفاعل معهم.
  - كلما علت مكانة الفرد، كلما زاد امتثاله لمعايير الجماعة.
  - في حالة تساوي مكانات أطراف التفاعل، تزداد سهولة هذه العملية لعدم سلطة لطرف على طرف، بينما يتضمن تفاوت إمكانية علاقات تبادلية غير منسقة أو متساوية

- **الجماعة** : هي مجموعة من الأفراد المتفاعلين في **نشاطات** مختلفة" ، وبهذا تشكل **النشاطات** وعمليات التفاعل والتعاطف نسقا اجتماعيا يجمع الأفراد ، يتضمن هذا النسق بعدين **داخلي وخارجي**، بينهما تفاعل متبادل، حيث يمثل البعد الخارجي **علاقة النسق الداخلي بالبيئة والجماعات الأخرى**، أما النسق الداخلي فيصف علاقات **التكامل والتباين**، حيث يعتمد التكامل على العلاقات المتبادلة بين المتغيرات الأساسية المتمثلة في :
  - الاعتماد المتبادل بين التفاعل والتعاطف، فكلما زاد التفاعل زاد التعاطف، عدا حالات الإكراه
  - ترابط النشاط بالتعاطف،فالذين يكنون الود للآخرين يعبرون عن هذا بنشاطات مشتركة، وهذه بدورها تزيد من الروابط العاطفية والودية.
  - ترابط النشاط بالتفاعل، فكلما زاد التفاعل زادت اوجه النشاطات، وزيادة هذه الأوجه تزيد من أوجه التفاعل

أما التباين فيحدده في تباين المصالح

- **السلوك** :هو **قدرة** الفرد على **التقييم والتوقع**، وفق **تجاربه** و **خبرته** لعمليات التبادل ، و وفق **شعوره بالرضى** أو **الغضب** اتجاه المكافآت المتحصل عليها ، و قد وضع "هومانز مجموعة من المفاهيم الجديدة في تناوله للسلوك ، هي بمثابة محركاته هي :
  - **الكم** ويعني به عدد وحدات النشاط في فترة زمنية محددة
  - **القيمة** وتعني مستوى المكافأة، او درجة التعزيز المترتبة على نشاط معين
  - **الثواب** هو كل مكافأة حصل عليها الفرد لها قيمة ايجابية
  - **الكلفة** وتعني ثمن وحدة النشاط مقارنة بنشاط بديل
  - **الربح** ويعني المكافأة ناقص الكلفة في نشاط معين

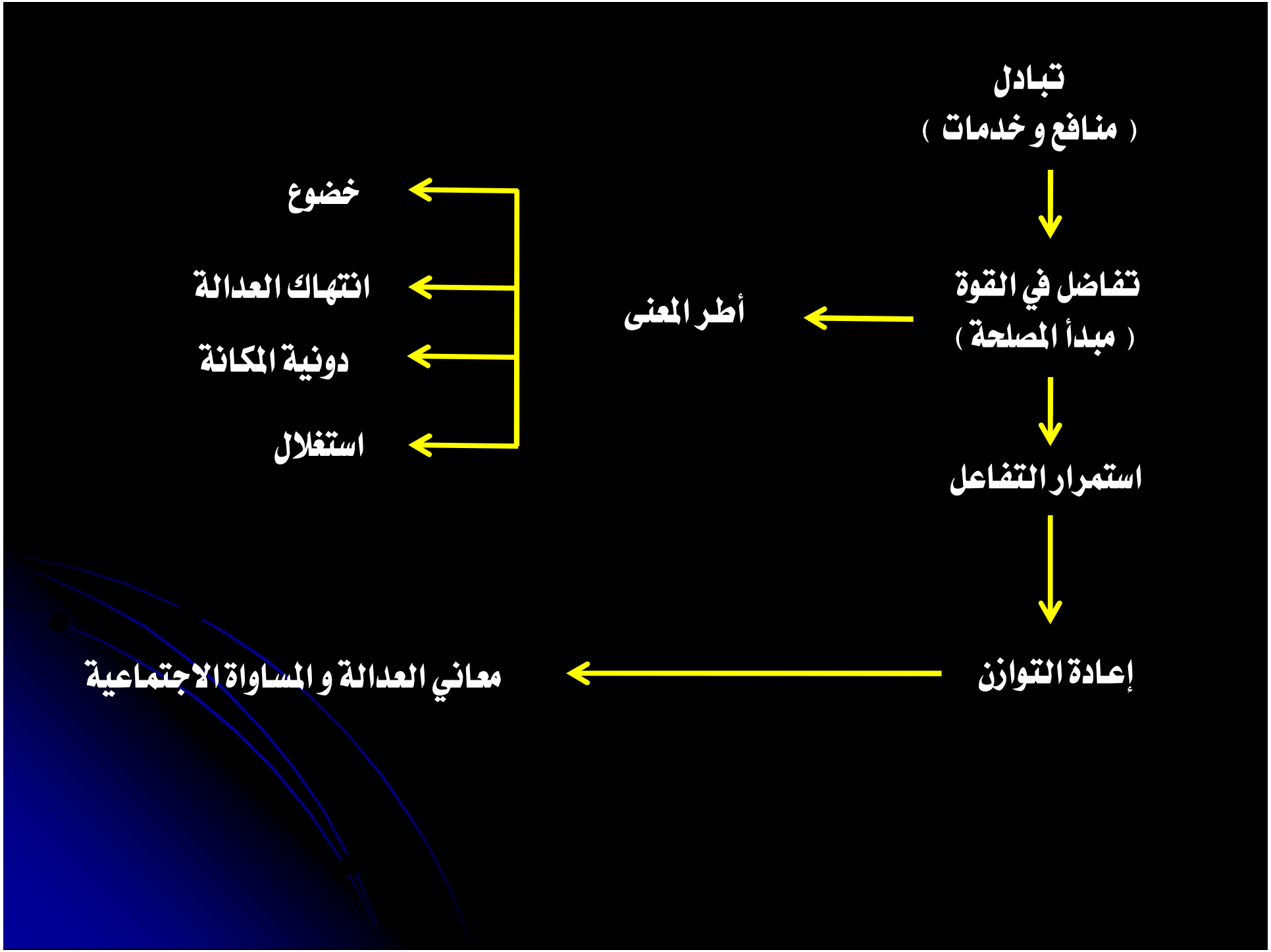
تبادل
(منافع و خدمات)
تفاضل في القوة
(مبدأ المصلحة)
أطر المعنى
خضوع
انتهاك العدالة
دونية المكانة
استغلال
استمرار التفاعل
إعادة التوازن
معاني العدالة و المساواة الاجتماعية

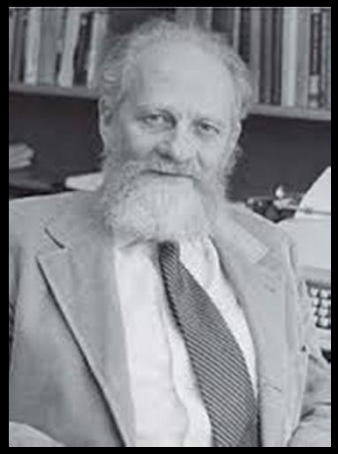

نظرية بتربلاو :

على خلاف " هومانز" فقد مثل مفهوم القوة عند "بلاو" جزأ مركزيا في أطروحته التبادلية ، لقد وظفه بحيث يكون حلقة وصل بين المستوى الفردي و المستوى الجماعي المؤسساتي. ويعتقد انه لا يمكن بحث عملية التفاعل الاجتماعي في معزل عن البناء الاجتماعي والإطار الثقافي .فالبناء الاجتماعي يتشكل نتيجة عمليات التفاعل، ولكنه يكتسب بعد قيامه وجوداً مستقلاً، ويصبح من العوامل المؤثرة في عملية التفاعل والمتفاعلين

1 – مرتكزات نظرية بلاو :

- تتضمن العلاقات الاجتماعية احتمالات وجود الجانبين التكاملي والتنافسي، حتى في الجماعات الأولية كالأسرة وجماعات الأصدقاء.
- في عمليات التفاعل يظهر أفراد قدرتهم على منح المكافآت، أو إيقاع العقاب، أو القدرة على مساعدة الآخرين في تلبية حاجاتهم، وتحقيق أهدافهم.
- تؤدي عمليات التفاعل في إطار ثقافة الجماعة إلى توزيع الأدوار والمكانات، وتشكل بناء اجتماعي تفرضه الحاجة إلى تكامل العلاقات في الجماعة.

- إن الانتقال من المستوى الفردي إلى مستوى البناء الاجتماعي يتضح من خلال عملية مرحلية توضح دافع سلوك الفرد الرئيسي في تفاعله وعلاقاته مع الآخر هو" التبادل المادي أو رمزي".
- تؤدي عمليات التفاعل بين الأفراد إلى تباين المكانات والقوة، وزيادة نفوذها، الأمر الذي يكشف عن تسلسلها المنتظم ومشروعيتها التي تقوم بزرع بذور الاختلاف، المعارضة، والتغير الاجتماعي.
- التنظيم وعملياته توفر قاعدة لتبادل عادل، كما يساهم في تشكيل شرعية بناء القوة في المجتمع
- عملية التبادل يمكن ان تتضمن التناقض، كما يمكن أن تتضمن التكامل، وعلى هذا الأساس فهي عمليات دينامية متغيرة، تحمل معنى الاستقرار والتغيّر، ويزداد احتمال قيام الصراع بإزدياد وعي الطرف الخاضع بحالة الاستقلال.
- عمليات التبادل تعمل على ضبط العلاقات في النسق، وذلك من خلال توفير قاعدة من القيم المشتركة والإجماع

مفاهيم أساسية في نظرية هومانز :

- **البناء الاجتماعي** : التفاعل أولا يحدث في إطار الجماعات حيث يحاول الأفراد كسب تقبل الجماعة لهم بامتثالهم لمعاييرها فتنتظم الجماعة وتتماسك وتحدث علاقات تكاملية ، تشكل ما يسمى البناء الاجتماعي يكون بمثابة نسق معياري ينظم و يؤسس مجمل التفاعلات.

- **التباين و التفاوت** : تؤدي عمليات التفاعل بين الأشخاص إلى تباين المكانات ، مما يولد تباين في القوة بين المتفاعلين الذي يؤدي بدوره إلى الصراع الذي ينتهي فرض شرعية من هو الأقوى . ويتمثل الوجه الآخر لشرعية الوضع القائم بما فيه من استغلال هو أن يتقبل من يقع عليهم الظلم بهذا الواقع وتستمر الحال إلى أن يرفض المظلومون الوضع ، ومن مصادر القوة تحكم شخص في خدمات أو سلع أو قيم يحتاجها الآخرون ولا يملكون ما يقابلها والطرف الأول لا يحتاج لخدمات أو سلع أو متطلبات من الآخرين وبهذا يصبح الاحتكار مصدر قوة وتحكم.

- **منطق التبادل الاجتماعي** : يرى "بلاو" أنّ عملية التبادل تتم بافتراض أفعال طوعية ترتبط حوافزها بمردود متوقع تحكمه علاقات شخصية وقوة جذب ورغبة بتحقيق المكافأة، لذلك فعمليات التبادل في الحياة الاجتماعية هي مثل سوق تفاوض يتيح للناس الاختيار من بين بدائل ، أي أنّ كل طرف بالتبادل يحاول معرفة حاجات الآخر وكل طرف يأخذ الآخر بعين الاعتبار سواء بالاستجابة لحاجاته أو بإدراكه لموقفه وظروفه ، إنّ عمليات التبادل الاقتصادي تنحصر في عقود بينما التبادل الاجتماعي مسؤوليات وحقوق وثقة متبادلة تحكمها منطلقات ثقافية المشكلة لمعايير البناء الاجتماعي .

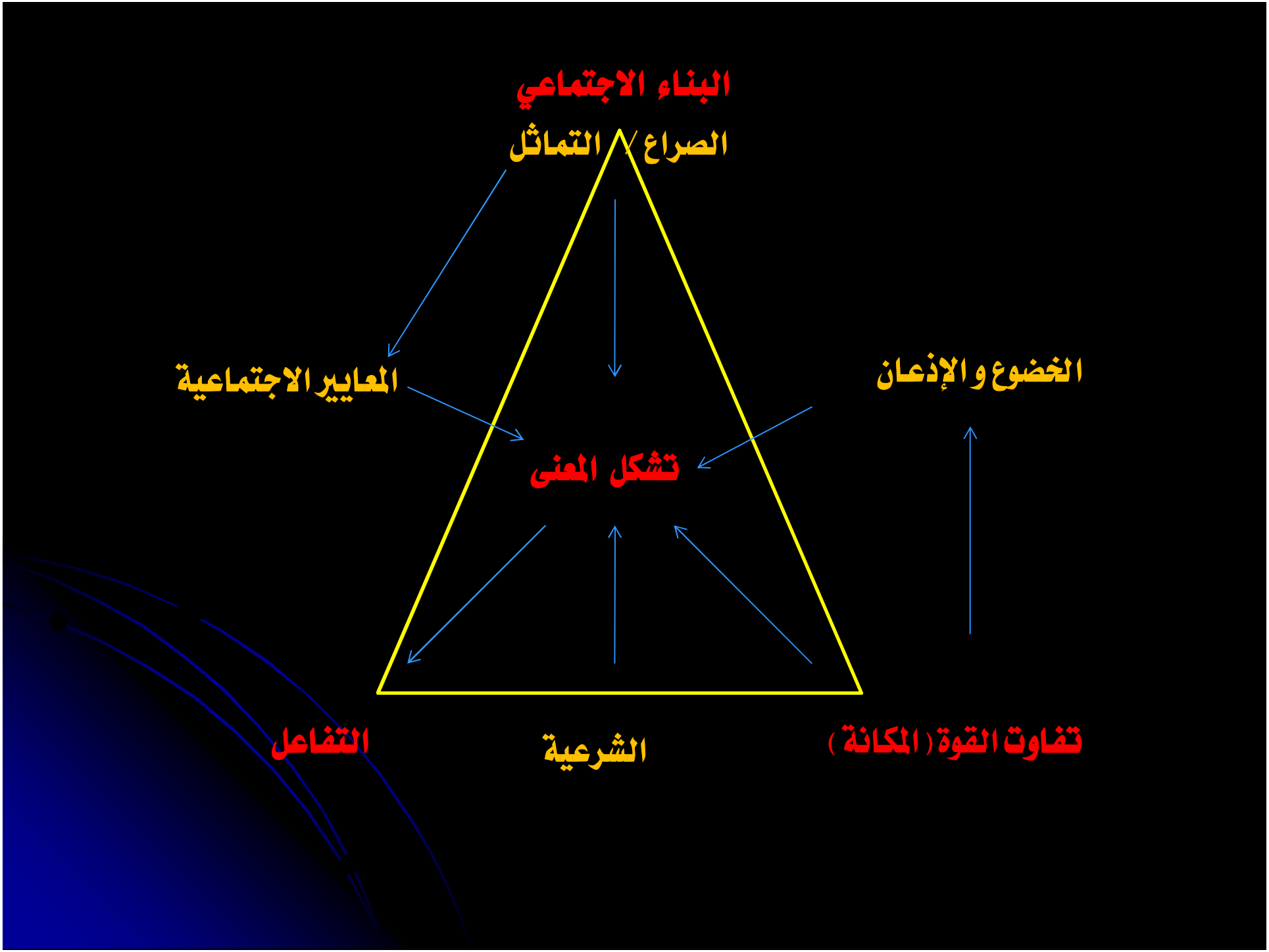
البناء الاجتماعي
الصراع / التماثل
المعايير الاجتماعية
الخضوع و الإذعان
تشكل المعنى
التفاعل
الشرعية
تفاوت القوة (المكانة)

نظرية رتشارد اميرسون (بناءات شبكة التبادل):

برز " ريتشارد ايميرسون " Richard Emerson(1925 – 1982) خلال السبعينات من القرن العشرين كباحث محوري في نظريات التبادل او ما كانت تعرف بنظريات الاختيار العقلاني ، هو منظر امريكي قدم إضافات هامة و أساسية إلى النظرية التبادلية ، تكمل ما جاء به كل من " جورج هامنز" و "بيتر بلاو" ، لكنه في الواقع لم يصغ نظريته من الملاحظات الميدانية ، بل من خلال استعماله للمفاهيم الأساسية لنظرية الاختيار العقلاني التي طورها "هامنز" و كذا ملاحظات "بلاو" الميدانية، أي ان نظريته هي محاولة لدمج التحليل الجزئي " بلاو" و الكلي " هامنز" في نظرية اكثر اتساعا و شمولية . سماها بنظرية بناءات شبكة التبادل سنة 1972. وهي نظرية انتقلت بنظريات التبادل من مستوى تحليل التبادل بين الافراد ، ألى التركيز على عملية التبادل نفسها، و في هذا التحول من الاهتمام بالفرد و حوافزه و المكافاة إلى الاهتمام بالعوامل الاجتماعية الثقافية التي تحدد شبكة العلاقات.

فالشبكات التبادلية، هي في نظره "بناءات اجتماعية" تتمثل في حدها الأدنى في علاقة بين فردين، و تتشكل عندما يدرك كل طرف ، او احدهما على الأقل، الفرص التي يمكن ان تترتب على هذه العلاقة، و يتوقف استمرار هذه العلاقة على تعزيز متبادل من قبل اطرافها.

لم يهتم " ايمرسون" بتحديد سبب او أسباب وجود او ظهور علاقة تبادلية، بل يرى ان " الفرصة" هي التي سنحت لهما بإقامة العلاقة التبادلية يقوم احدهما بمبادرة تبادلية بهدف تحقيق او اشباع حاجة يبتغيها من الطرف الاخر، وهذا يتطلب منه تقديم مصدر لا يمتلكه الطرف الاخر او شيء يحتاجه، بذات الوقت يتطلب من الاخر ان يعيد – على الأقل – قيمة ما استلم سواء كان من نفس المصدر او ما يعوضه بمصدر لا يمتلكه الأول أو شيء يحتاجه. عندئذ تتشكل العلاقة التبادلية بينهما التي قد تتقدم خطوة أخرى وهي دراسة كل منهما لنفوذ الاخر و مصادره من محيطه الاجتماعي. و إذا تم معرفة ذلك ، فاحتمال تكرار التبادل مرات عديدة و باساليب جديدة او قد تنقطع. و هنا يلعب نفوذهما دورا في استمرار او توقيف علاقتهما،

و من هنا طرح «اميرسون» قضية نظرية هامة باعتراف اكبر السوسيولوجيين أمثال "تيرنر" تورين" " بورديو" و غيرهم ، مفادها : **ان العلاقة التبادلية تتحول عبر الزمن من حالة عدم توازن إلى حالة توازن. و ذلك تبعا لدرجة الاعتماد المتبادل.**

لاحظ "اميرسون " من خلال تسجيلات "بلاو" ان العلاقات الاجتماعية تتضمن روابط اعتماد متبادل بين الوحدات "ب" يعتمد على "أ" أذا كانت أهدافه و اشباعاته التي يحققها تتسهل بموجب أفعال يقدمها "ا" ، و بالنسبة للوحدات المتفاعلة ، فان الامر مغر ليسيطر احدهما على الاخر، لكن الامر لا يتم بهذا الشكل البسيط الذي وضعه "بلاو" ، لانه في الواقع كل طرف يحتل موقع يسهل من خلاله او يعيق او يمنع اشباعات الاخر، ذلك ان العلاقة بينهما تتجسد في المكافئات المتبادلة بينهما و ليس في الخدمات . لذلك فان القوة اللازمة للسيطرة او التأثير تتحقق من خلال السيطرة على الأشياء القيمة بالنسبة للاخر. و هي في الواقع حسب "اميرسون" تغطي مجالات و اشكال عديدة و متنوعة من التبادل المادي إلى تدعيم الذات و هي جميعها مصادر قوة في أي علاقة تبادلية بين فرد / فرد أو فرد / جماعة أو جماعة / جماعة، باختصار فان القوة ترتكز بشكل واضح على اعتمادية الاخر .

و بتوضيح أكثر ، قدم " ايمرسون" تفكيك أجزاء نظريته على النحو الاتي :

1 – مكافاة ذات قيمة قليلة يقدمها الفاعل " أ" للفاعل " ب".

2 – على الرغم من تعدد و تنوع البدائل المتاحة عند الفاعل " أ" عند تقديمه أحدهما إلى الفاعل "ب" .

3 – عندئذ يقدم الفاعل " ب" للفاعل "أ" مكافاة ذات قيمة عالية بالنسبة له و ليس للفاعل " ا".

4 – على الرغم من قلة البدائل المتاحة عند الفاعل " ب" الذي يريد تقديم مكافاة مرجعة إلى الفاعل " ا" .

أي ان الفاعل "أ" يقدم مكافاة ذات قيمة قليلة بالنسبة له إلى الفاعل " ب" على الرغم من امتلاكه (الفاعل أ) امكانتية مادية و معنوية كبيرة يستطيع تقديمها إلى الفاعل " ب" .

لكن بالمقابل يقوم الفاعل "ب" بتقديم مكافاة ذات قيمة عالية إلى الفاعل "أ" تبعا لاعتماده الكبير على مكافاة " ا " على الرغم من ضعف امكانياته المادية و المعنوية ، أي لكونه صاحب مصلحة فانه يضحي فيقدم مكافاة أو مساعدة او خدمة كبيرة بالنسبة لإمكانياته و لا تحمل نفس القيمة العالية عند الفاعل " ا" كمثيلتها عند الفاعل " ب" .
لكن بالنسبة "لامرسون" أن هذا التباين في قيمة المكافآت (النفوذ) لا يستمر هكذا إلى الابد بل يتقاربان على مر الزمن، فيصل إلى حالة متوازنة في مقاديرها بسبب ظهور مصادر جديدة للنفوذ تنبثق من المكافاة الأعلى قيمة نفسها. و التي تدرك قيمتها ثقافيا و اجتماعيا قبل ما تدرك ماديا .

ويلخص "ايمرسون" نظرية بناءات شبكة التبادل في ثلاثة افتراضات أساسية هي :

1 – **ان الفاعلين الذين تكون الاحداث نافعة لهم يميلون إلى التصرف بعقلانية حتى تقع تلك الاحداث .**

2 – **ان الناس في اخر الامر يحققون اشباعاتهم كاملة مع الاحداث السلوكية حتى تصبح تلك الاحداث ذات فائدة ضعيفة. او تجاوز منفعتها بفعل ادراك نمطي من طرف الفاعل للمكافآت الواجب تقديمها او الحصول عليها.**

3 – ان المنافع التي يجنيها الناس من خلال العمليات الاجتماعية تتوقف على المنافع التي يستطعون إضافتها بالتبادل، أي على تدفق المنافع و تجددها من خلال التفاعل الاجتماعي.

مفاهيم أساسية في نظرية هومانز :

الفاعل : الفرد او المجموعة القادرة على الحصول على تعزيز السلوك من المحيط الاجتماعي.

التعزيز : امداد المحيط بما يحتاجه الفاعل في تحقيق الرضا و السلوك الاجتماعي.

السلوك : ردات الفاعل على تعزيزات المحيط.

التبادل : سلوك الفاعل العلائقي و الذي يتضمن تعزيز المحيط.

القيمة : قوة تعزيز السلوك الفردي و مقارنتها بسلوك الاخرين.

المكافأة : درجة القيمة المرتبطة بنوع التعزيز. و يرى "اميرسون" ان اختزال الكلفة ، تتضمن تغييرا في القيم الشخصية، و الاجتماعية و الاقتصادية، و التي تقلل من الالام المحتملة لعملية التبادل، و التي تتم من خلال التماس احد البدائل التي تقود العلاقة إلى التوازن .

البدائل : عدد الموارد و الفرص المتاحة في المحيط التي يمكن أن ترتبط بنوع من التعزيز .

الكلفة : قيمة المكافاة التي يمكن الحصول عليها ، مقارنة ببدائل أخرى.

علاقات التبادل : فرصة زمنية يتصرف الفاعل فيها حسب مؤثرات بيئية ينقلها إلى فاعل أخر ليحصل على مقابل لها منه . و لتحقيق التوازن هناك مجموعة من البدائل التي يحصرها اميرسون فيما يلي :

اذا قلل " ب" استثماره الدافعي للاهداف التي تتحقق بواسطة " أ"

إذا حقق "ب" مصادر بديلة لتحقيق تلك الأهداف.

إذا زاد " ا" استثماره الدافعي للاهداف التي تتحقق بواسطة " ب " .

إذا افتقد " ا " للمصادر البديلة التي تتحقق من خلالها تلك الأهداف.

الاعتماد : اعتماد تعزيز فعل المبادر على الاخرين ، وعدد البدائل المتاحة للحصول على المكافاة.

التوازن : درجة الاعتماد المتبادل بين اطراف العملية في فرص تحقيق مكافات متساوية في القيمة بالنسبة لكليهما.

القوة: يعرفها "اميرسون" من خلال المقاومة، فيوضح ان قوة " أ" على الفاعل " ب" هي كمية المقاومة التي يستطيع "أ" التغلب عليها من قبل " ب" أي من خلال مستوى الكلفة الممكنة التي يستطيع احد الفاعلين اقناع الاخر على قبولها او تقديمها طوعيا تبعا لتقديره لدرجة اعتماده.

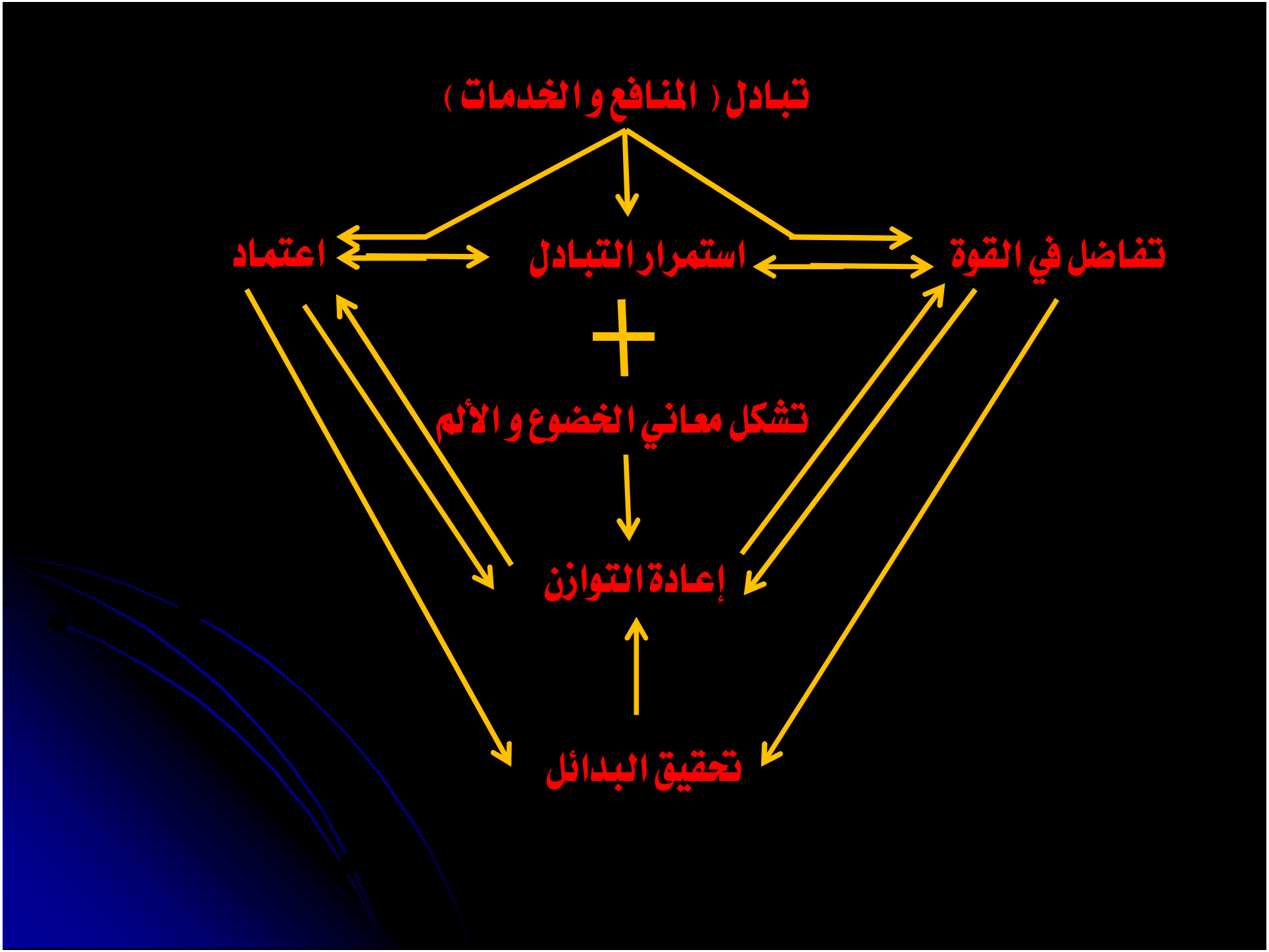
تبادل (المنافع و الخدمات)
اعتماد
استمرار التبادل
تفاضل في القوة
+
تشكل معاني الخضوع و الألم
إعادة التوازن
تحقيق البدائل